كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ /ماجستير تاريخ

مادة / تاريخ مصر والسودان

مدرس المادة :أ.د. معاذ هلال جاسم

❖ الحملة المصرية على السودان(١٨٢٠/١٨٢٢)

تعتبر الحملة المصرية التي قادها محمد علي باشا بين عامي ١٨٢٠ و١٨٢٢ واحدة من الأحداث التاريخية الحاسمة التي شكلت ملامح تاريخ السودان الحديث. وهي حملت تأثيرات عميقة في السياسة والإدارة والاقتصاد السوداني، وقد كانت بداية للهيمنة المصرية على السودان التي استمرت لعقود.

في أوائل القرن التاسع عشر، كان محمد علي باشا، والي مصر ، يهدف إلى تعزيز سلطته في مصر وتعزيز مكانتها العسكرية والاقتصادية في المنطقة وهي جزء من الإمبراطورية العثمانية، ولكن محمد علي سعى لتحقيق استقلال فعلي لمصر ووسع نفوذه خارج حدودها.

كان السودان في تلك الفترة متنوعًا في هيكله السياسي والاجتماعي، حيث كانت تتعدد الممالك المحلية والمناطق التي تحكمها قبائل وأسر حاكمة. كانت مصر في ذلك الوقت لا تمارس سيطرة مباشرة على السودان، ولكن كانت بعض المناطق الخاضعة للسودان تقع تحت هيمنة المماليك (الذين هُزموا في مصر بعد الحملة الفرنسية)، بينما كانت بعض المناطق الأخرى تشهد حالة من الفوضى السياسية، مثل إقليم دارفور في الغرب.

بدأ محمد على يفكر جديا في فتح السودان قبل أن يرسل حملته اليه بسنوات ولم يكد يتم استعداده الحربى حتى أرسل يستأذن محمود الثاني في فتح هذه الأقطار فوافق السلطان العثماني على أن يضم محمد على ما يشاء من أراضي السودان على أن يكون ذلك باسم السلطان.

- **الدوافع والأهداف:**

تعددت الأسباب التي دفعت محمد علي باشا إلى اتخاذ قرار شن الحملة على السودان، ويمكن تلخيص هذه الأسباب في النقاط التالية:

- أمن منابع النيل: كان محمد علي يريد تأمين منابع النيل، حيث كان يعتقد أن السودان يمثل منطقة استراتيجية لتحكم مصر في مجرى النيل الذي يعتبر المصدر الرئيسي لمياهها.

- التوسع الإمبراطوري: كان محمد علي يهدف إلى توسيع نفوذ مصر ليشمل المناطق المجاورة، وبالتالي فإن غزو السودان كان جزءًا من استراتيجية أوسع لتوسيع الإمبراطورية المصرية في إفريقيا.

- تحقيق الاستقرار الداخلي: كان محمد علي يسعى إلى التخلص من التهديدات التي كانت مصدرها بعض القبائل السودانية في مناطق النيل العليا، مثل قبائل النوبة وغيرها. كان يتصور أن السودان سيساهم في تعزيز الموارد العسكرية والاقتصادية لمصر.

- تعزيز مكانته العسكرية والاقتصادية: كان محمد علي يطمح أيضًا إلى استغلال الموارد الطبيعية في السودان مثل الذهب والقطن والموارد الزراعية، بالإضافة إلى أهمية تجارة العبيد التي كانت سائدة في تلك الفترة.

- **التحضير للحملة:**

جهز محمد علي حملة ضخمة للغزو بقيادة ابنه إسماعيل باشا. تكوَّن الجيش من اثكر من خمسة آلاف من الجنود، وكان معظمهم من المصريين مع بعض العناصر من المماليك (الذين كانوا جزءًا من الجيش المصري آنذاك)، بالإضافة إلى العديد من الجنود السودانيين والمرتزقة. وقد رافق الجيش العديد من الفنيين والخبراء في الزراعة والهندسة والطب، الذين كان هدفهم تنظيم الأراضي السودانية وإدخال نظم ري جديدة.

بدأت الحملة بالتحرك من أسوان في صيف عام ١٨٢٠ عبر صحراء النوبة وصولاً إلى النيل. وفي نوفمبر ١٨٢٠، وصل الجيش المصري إلى مدينة دنقلا في شمال السودان. واستسلمت المدينة للقوة المصرية دون مقاومة كبيرة، وبدأت الحملة بالتوسع جنوبًا. وكانت الحملة عبارة عن عدة وحدات عسكرية تم تجهيزها بأسلحة حديثة مثل البنادق والمدافع، وهو ما منحها تفوقًا عسكريًا كبيرًا على القوات المحلية.

تحرك اسماعيل نحو بلاد النوبة وسنار وكردفان باسم محمود الثاني وقدم الزعماء والرؤساء السودانيون خضوعهم وولاءهم للسلطان العثماني، وكان من أشهر هم بادي بن طبل ملك سنار الذي أقسم يمين الولاء بين يدى إسماعيل السلطان و أعلن تنازله عن مملكة سنار رسميا للسلطان وهكذا دخلت هذه البلاد منذ اللحظة الأولى تحت السيادة العثمانية كما أن الباشا المصرى صار يقوم بأعباء الحكم فيها على أنها ملحقات تابعة لباشويته أو ولايته تحت السيادة العثمانية .و بعد السيطرة على الشمال، استمر الجيش المصري في التقدم إلى مدينة الخرطوم. وفي عام ١٨٢٢، تم القضاء على المقاومة المحلية التي كانت تساند المماليك في المنطقة، وسيطر الجيش المصري على الخرطوم.

- **معركة الخرطوم (١٨٢٢):**

كان الهدف الأخير من الحملة هو السيطرة على الخرطوم، التي كانت في ذلك الوقت مركزًا مهمًا للسلطة المملوكية. وقد خضعت المدينة للقوات المصرية في معركة حاسمة في عام ١٨٢٢، حيث سقطت الخرطوم بيد الجيش المصري.

دخل إسماعيل باشا الخرطوم بعد أن لقيت القوى المحلية، المملوكية وغير المملوكية، مقاومة ضعيفة للغاية. تم فرض السيطرة المصرية على المدينة، وأصبحت الخرطوم قاعدة لحكم مصر في السودان. وبعد السيطرة على الخرطوم، بدأت القوات المصرية في تثبيت النفوذ المصري على باقي أنحاء السودان.

- **الحكم المصري للسودان**

وتأكيدا لهذه السيادة أصدر الباب العالى أمرا إلى محمد على بتعيين إبنه إسماعيل حاكما على سنار في يوليو ١٨٢٢ . على أنه مما يجب التنبيه إليه أن تقليد الحكم صدر من محمد على باعتباره صاحب الولاية على مصر ويدخل في نطاق هذه الولاية ما تستطيع مصر أن تضمه اليها من ممتلكات جديدة . وعند ما زحف محمد بك الدفتردار صهر محمد على بجيش آخر على كردفان كتب إلى حاكمها المقدوم مسلم أنه إنما أوفد من قبل باشا مصر حتى يطلب اليه باسم : سلطان المسلمين أن يعترف بالسيادة شأنه في ذلك شأن جميع الأمراء المسلمين ، . فلما رفض المقدوم حاربه الدفتردار وانتصر عليه في معركة بارا الحاسمة وضمت الكردفان إلى الممتلكات المصرية . وكان الدفتر دار ثاني الحكم دارين بعد إسماعيل

وصدر تعيينه في منصب الحكم دارية من القاهرة في فبراير ١٨٢٣ ثم عين الباشا سائر الحكمدارين الذين ولوا هذا المنصب بعد ذلك وظل خلفاء محمد على ينصبون الحكمدارين ويعزلونهم .

وقد بدأ تنظيم شؤون الحكم والإدارة في السودان منذ أيام الفتح الأولى وإسترشد محمد على بقواعد معينة تفسر بوضوح معنى « السيادة ، التي صارت من حق مصر على هذه البلاد ومعنى ، إنضمام ، السودان إلى مصر في نطاق ممتلكات الباشا ، كما أن البحث في هذه القواعد من شأنه أن يزيل من عالم الوجود تلك الأقصوصة القديمة التي أراد مروجوها أن يلصقوا تهمة الاستغلال وإهمال رفاهية السودانيين بالحكم المصرى فى السودان على أن هذه القواعد التي وضعت في أيام محمد على ظل يرتكز عليها كل تنظيم لشؤون الحكم والإدارة من ذلك الحين إلى وقت قيام الثورة المهدية . ولعل أهم أسس هذا التنظيم الجديد أن الباشا إعتبر مصر والسودان قطرا واحدا مندمجا حتى أصبح شأن السودان في الوضع الجديد شأن أية مديرية من تلك المديريات التي يربط بينها جميعا وجودها في نطاق الباشوية المصرية ، وكان لهذا الاعتبار آثار بعيدة في تكوين السودان الحديث وخروجه من حلكة ذلك الظلام الذي انتشر في عهود الفوضى السابقة إلى نور التقدم والعمران وبدء السير بخطى ثابتة وبالقدر الذي كان متلائما مع أحوال شعوبه في طريق الحضارة والمدنية . ذلك بأن الباشا كان يريد للسودان ما أراده لمصر ذاتها من حيث قيام الحكومة المصلحة التي تسهر على أمن الناس وراحتهم وتوفر لهم سبل العيش وبخاصة عن طريق إنعاش الانتاج المحلى في الزراعة والصناعة ، وكذلك بتنمية التجارة وليس أدل على ذلك من أن الباشا كتب إلى حكم دار السودان خورشيد أغا في يوليو ٥ ١٨٣ حتى يقوم تحولات متواصلة في فيا في البلاد السودانية ليلا ونهارا ويسوس كافة الأهالى سياسة طيبة ،، كما أمره بأن يجعل نصب عينيه الاهتمام بنشر ألوية العمران. وتحقيق رفاهية الأهلين لا فرق بين هذه البلاد في ذلك وبين الأقاليم المصرية حتى يستحق خورشيد زيادة العطف عليه ، من جانب محمد على بل لقد جعل الباشا مكافأته لرجال حكومته في السودان على قدر ما يبذلون من الجهد في سبيل عمران البلاد وإقامة الحكومة المصلحة ، ولما كان خورشيد أغانفسه وعهده من أكثر العهود ازدهارا في السودان

السيطرة المصرية على السودان، والتي بدأت في القرن التاسع عشر تحت حكم محمد علي باشا، كان لها تأثيرات كبيرة على السودان من نواحٍ سياسية واقتصادية واجتماعية. إليك بعض النتائج الرئيسية:

١. التوحيد السياسي والإداري:

- إنشاء حكم مركزي: أدت السيطرة المصرية إلى توحيد مناطق السودان تحت حكم مركزي لأول مرة، مما قلل من حكم القبائل المحلية والممالك الصغيرة.

- إدخال النظام الإداري المصري: تم تطبيق النظام الإداري المصري في السودان، مما أدى إلى تحسين الإدارة المحلية ولكن أيضًا إلى زيادة الضرائب والاستغلال.

٢. التأثير الاقتصادي:

- استغلال الموارد: استغلت مصر موارد السودان الطبيعية، خاصة الذهب والعاج، مما أدى إلى زيادة الثروة المصرية ولكن على حساب الاقتصاد السوداني.

- تطوير الزراعة: تم إدخال محاصيل جديدة وتحسين طرق الري، مما ساعد في زيادة الإنتاج الزراعي.

٣. التأثير الاجتماعي والثقافي:

- انتشار الإسلام واللغة العربية: ساهمت السيطرة المصرية في انتشار الإسلام واللغة العربية في السودان، مما أثر على الهوية الثقافية للسودانيين.

- التمازج الثقافي: أدى الوجود المصري إلى تمازج ثقافي بين المصريين والسودانيين، مما أثر على العادات والتقاليد في كلا البلدين.

٤. المقاومة والثورات:

- ثورة المهدي: أدت السياسات القمعية والضرائب الباهظة إلى سخط شعبي، مما أدى إلى ثورة المهدي في عام ١٨٨١، والتي نجحت في طرد المصريين من السودان لفترة.

٥. التأثيرات العسكرية:

- توسيع الجيش: تم تجنيد السودانيين في الجيش المصري، مما أدى إلى زيادة القوة العسكرية المصرية ولكن أيضًا إلى استغلال السودانيين في الحروب.

٦. الاستعمار البريطاني:

- الاحتلال البريطاني المصري: بعد فشل السيطرة المصرية، أصبح السودان تحت الحكم الثنائي البريطاني المصري، مما أدى إلى فترة جديدة من الاستعمار.

انتهت السيطرة المصرية على السودان بشكل تدريجي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويمكن تلخيص العوامل الرئيسية التي أدت إلى ذلك في النقاط التالية:

٣. اتفاقية الحكم الثنائي (١٨٩٩)

- بدأت شراكة بريطانيا في الحكم بعد يومين من سقوط أم درمان، حينما رفع كتشنر العلمين المصري والإنجليزي جنبا إلى جنب على بقايا سرايا الحكومة المتهدمة في الخرطوم، وفي الوقت الذي كان كتشنر يرفع العلمين المصري والإنجليزي، كان السير دينل رود ينقل إلى الحكومة المصرية في ٤ سبتمبر ١٨٩٨ ، قرار الحكومة البريطانية حول دورها في حكم السودان بعد هزيمة المهديين، وقعت بريطانيا ومصر اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩، والتي جعلت السودان تحت إدارة مشتركة اسميًا، لكن السيطرة الفعلية كانت بيد البريطانيين.

٤. استقلال السودان (١٩٥٦)

- استمر الحكم الثنائي حتى عام ١٩٥٦ عندما حصل السودان على استقلاله التام من بريطانيا ومصر.

باختصار، انتهت السيطرة المصرية على السودان بسبب الثورة المهدية والتدخل البريطاني، مما أدى في النهاية إلى استقلال السودان.